

الإمام عليّ (ع) .. جامع للإخلاق النبيلة



علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الهاشمي القرشي، كان والده أبو طالب من أبرز الشخصيات القرشية والمعروف بسخائه وعدله ومنزلته السامية عند القبائل العربية. وهو عمّ النبي (ص) وألطف أعمامه به، ولما أظهرت قريش عداوته حذب عليه ونصره ومنعه. أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. أخوته: من الذكور طالب، عقيل، جعفر، ومن الإناث هند المعروفة بأم هاني، جمانة، ريطة المكنات بأم طالب وأسماء. كنيته (ع): أبو الحسن، أبو الحسين، أبو السبطين، أبو الريحانتين، أبو تراب، وأبو الأئمة. إضافة إلى شرف مصاهرة النبي الأكرم (ص) على ابنته فاطمة (س) وأنه والد الحسين (ع) سبطي رسول الله والفادي له عندما تآمرت عليه قريش ليلة الهجرة حين مبيته في فراشه للتمويه عليهم وإفشال خطّتهم، الأمر الذي وفّر للنبي الأكرم (ص) هجرة ميسرة ميمونة بعيداً عن أعين الأعداء. وحينما آخى (ص) بين المهاجرين والأنصار آخى بينه وبين علي (ع) فروي عن النبي الأكرم (ص) أنه قال: «علي مع الحقّ والحقّ مع علي». حيث كانت وفاته (ع) ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة بعد أن ضربه ابن ملجم المرادي في مسجد الكوفة ليلة تسع عشرة من نفس الشهر ودفن في الغريّ من نجف الكوفة. ومما يشهد له التأريخ أيضاً أنه مع قوّة الجسدية الخارقة وشجاعته التي لا نظير لها تراه يتصف بأرفع درجات التواضع والعفو والصبر والحلم، ومع

انفتاحه على الناس ومخالطته لهم يتسم بالهيبة والوقار الشديدين. وأولى أمير المؤمنين (ع) لحقّ الراعي والرعية أهمية كبرى على المستويين النظري والعملي وهذا ما تجده جلياً في كلماته، كما في قوله: «لا يجري (الحقّ) إلّا جرى عليه ولا يجري عليه إلّا جرى له ولو كان لأحدٍ أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقَدَرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلَعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مِضَاعِفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوْسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ». ومن وصاياه لعماله على الزكاة: «وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا وَلَا تَجْتَازَنْ عَلَيْهِ كَارَهَا، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضُ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتَسْلَمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُخَدِّجْ بِالْتَّحِيَّةِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولُ: عِبَادِ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِي أَكْثَرُ مِنْكُمْ حَقٌّ فِي أَمْوَالِكُمْ فَهَلْ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّهُ إِلَيَّ وَلِيهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا. فَلَا تَرَاغِبْ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مِنْعٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَيِّفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تُعَسِّفَهُ أَوْ تُرَهِّقَهُ». ومن وصاياه التي أوصى به أبناءه وصيته أنه قال للحسن (ع) والحسين (ع) حين ضربه ابن ملجم: «أَوْصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَيْتُمَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زَوْيَ عَنْكُمَا، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا. أَوْصِيكُمْ، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْ (ص) يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ. اللَّهُ فِي الْآيَاتِ، فَلَا تَغْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ، حَتَّى طَنَّنَا أَنَّهُ سَيُورِثُهُمْ. اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا تَخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكَ لَمْ تَنَاطَرُوا. اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَادُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابِيرَ وَالتَّقَاطُعَ، لَا تَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُولَى عَلَيْكُمْ شَرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ. ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ! لَا أَلْفَيْتُكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا، تَقُولُونَ: (قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ)، أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي. انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلَا تَمَثِّلُوا بِالرَّجْلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) يَقُولُ: «لِيَاكُمُ الْمَثَلَةُ وَلَوْ بِالْكَلبِ الْعَقُورِ». فَأَمَّا السَّخَاءُ وَالْجُودُ فَحَالُهُ فِيهِ ظَاهِرَةٌ، وَكَانَ يَصُومُ وَيَطْوِي وَيُؤَثِّرُ بَزَادَهُ، وَرَوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ إِلَّا أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ، فَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ لَيْلًا، وَبَدْرَهُمْ نَهَارًا، وَبَدْرَهُمْ سَرَاءً، وَبَدْرَهُمْ عِلَانِيَةً، فَأَنْزَلَ فِيهِ: (الَّذِينَ يَذْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) (البقرة/274). كما كان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء. وأما سجاحة الأخلاق، وبشر الوجه، وطلاقة المحيا، والتبسم: فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه. من حيث شجاعته فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا إرتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث

«كانت ضرباته وتراً». كان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملزمة الأوراد وقيام النافلة، وما طنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفيين ليلة الهرير، فيصل على ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته! وما طنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده. وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزته والاستخاء له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت!. وأما الزهد في الدنيا فهو سيد الزهاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شيع من طعام قط.